



زهران القاسمي

سرحت دجاجاتها قبل شروق شمس الصباح ، سرحت من البيت ناحية المزروعات المجاورة ، باحثة عن قوت يومها بين الأشجار ، عن بعض بقايا متساقطة هنا أو هناك ، عن ديدان الأرض المندفنة تحت قشرة الطين الرقيقة ، عن حشرات ساقطة ، الدجاج يأكل كل شيء ، ينش كل شيء ، وحين يعود إلى البيت مساء يكون قد ملأ حوصلاته شبعاً .

تعيش دجاجاتها مع بعضهم ، تسرح معاً وتأكل معاً ثم تعود للبيت وتنام قريبة من بعضها البعض ، وفي المساء يطيب لها أن تعدهن واحدة واحدة لتطمئن عليهن ، فهي تعلم أن للدجاج أعداء نهاريين قد يختطفون أحداهن ، لكنها مع ذلك تبقى متيقظة ، تحرس المكان ، ترقب السماء دائماً ربما رأيت بارزا أو حداة ، حينها تخرج صوتا خاصا لتنبه دجاجاتها وتحذرن ، ثم تخرج صوتا آخر تفرع به الطيور الجارحة ، وفي الليل تنام بالقرب من الشجرة التي تنام دجاجاتها بين أغصانها خوفاً عليهن من تعالاب الجبال الجائعة ، فإذا لم تستطع مقاومة النوم واستيقظت على صراخ إحداهن ، تصرخ بأعلى صوتها على ذلك اللص الجبلي ، تصرخ عليه بطريقة تجعله يفلت الخناق عن قبضته ، فهي ماهرة جدا ، لم يحدث أن نجح أحدي لصوص النهار أو الليل في سلبها شيئاً أبداً .

صرخت كثيرا بلا فائدة ، حلقت دجاجة من الجانب الآخر ، صفقت بجناحها وحلقت فوق الوادي ، قطعت مسافة كبيرة منه ، كادت أن تصل لكنها سقطت أخيراً في إحدى التيارات القوية وغابت في الماء ، قامت من مكانها ، بدأت في العويل ، علا صراخها ، زادت حركة يديها مشيرة للدجاجات أن يتعدن ، حلقت أخرى قطعت مسافة أقل من الأولى وسقطت ، الدجاجات الأخرى متحفزات للوصول إلى البيت ، مستعدات للتخليق فوق طارت دجاجة أخرى ، وسقطت أيضاً ، حلت لحاف شعرها وهي تصرخ ، رمتها عالياً وهي تقفز وتركض جيئةً وذهاباً لتردعهن عن التخليق ، ولكن بلا فائدة ، تقاتل الدجاجات في الطيران ، نقص الطابور الواقف على الحافة الأخرى ، سقطن واحدة تلو أخرى ، وهي في كل مرة كانت تصنع المستحيل لإيقافهن بلا فائدة ، خلعت ثوبها ، رفرقت به في الهواء ، بكت وصرخت ، شتمت الأشياء ولعنات الجميع ، لكن الوادي أخذ دجاجاتها جميعاً ، كانت هي على الحافة الأخرى وقد فقدت وعيها ، كانت على وشك أن تقفز خلف الدجاجات ، لولا أن لحق بها أحدهم وأعادها بصعوبة إلى البيت .

في ظهيرة أحد الأيام الصيفية ، أظلمت السماء بالغيوم ، وعلى رؤوس الجبال البعيدة سقطت الأمطار كثيفة ، فسالت الشعاب والأودية ، ولأن المسافة بعيدة جداً عن القرية ، لذا يحتاج السيل حتى يصل وقتاً يقارب الساعتين أو أكثر ، وهذا يعتمد على المكان التي سقطت فيه الأمطار ، فأمطار الصيف من طبعها إنها تسقط في بقعة واحدة ، تجيء السحابة محملة بما فيها وتفرغها في مكان واحد ، حتى أن القرويين يتندرون بأن سحابة مرت من فوق بدوي يقود ناقته من خطامها ، فأطمرت من فوقه وبلل المطر نصف ناقته والنص الآخر بقي يابساً .

أظلم المساء ، وحين عودة الدجاجات إلى البيت ، وفي ذات الوقت وصل السيل فملأ المكان ، الدجاجات في الجهة الأخرى من الوادي حيث النخيل ، والبيت وصاحته في الجهة الأخرى تنتظر دجاجاتها ، وقفت الدجاجات على الحافة ، اصطفت طابورا طويلاً ينظرن إلى البيت ، ولكنهن لا يستطعن الوصول إليه ، صاحبتهن من الجهة المقابلة تصدر أصواتاً لتبهذهن عن المكان ، ولكن هدير الوادي أضاع صوتها معه ، جرفه الماء الذاهب بعيداً ، كانت تقوم وتجلس ، ترفع يديها وتخفضها لتبهذهن عن الحافة ، وفي المقابل ، اصطفت عشر دجاجات يردن الوصول إلى البيت قبل الليل .



إنه مرجل يغلي

عبدالكريم الميميني *



عجيبه بل معقدة أشد التعقيد هي عملية الإبداع الفني التشكيلي التي تنولد وفق مراحل وأنماط تسلسلية متنوعة ، إلا أن أصعب مراحلها هي لحظات التوهج الأولى حين يضع الفنان فرشاته على سطح اللوحة أو أدواته الفنية على جسد الوسيط سواء كان خشباً أو صلصلاً أو حديداً أو غيره ، ويحلو لي أن أسمي هذه المرحلة عادة بمرحلة المخاض التي تسبق الولادة ، ففي هذه المرحلة تتوهج المشاعر وتنقض الأفكار على غشاء الحواس ، وتغسط عوالم الشعور واللاشعور بلا كبت ولا قيد في بحر الروح حيث الأشكال تندس في فيافي الفكر وتبحث معها عن وميض يثيرها ويهيجها لتخرج بصحبته إلى عالم النور المبصر ، وإلى وهج الحقيقة العيانية في عالم الواقع المشاهد .. إذن لتلك الحركات الطفيفة الأولية من يد الفنان مع الفرشاة أو الوسائط الفنية المختلفة دور كبير في تحريك الدواخل ويعت خيال الأشكال التي تبدأ معها في ظهور شكل له دلالة ، وقد ينبثق هذا الشكل الذي سيلاصق جسد اللوحة أو الكتلة على الفور ، وقد يأخذ وقته بما فيه الكفاية حين يواصل الفنان سحبه ببطء من وسط السحابة التي تحجب عنه النور من أعماق النفس ، لينزله منزله المناسب على سطح الوسيط بكل شموخ وكبرياء وعزة .

إن عملية الإنتاج الفني التشكيلي لها وضعها المدمج المركب ، ليس فقط من الناحية التقنية في الإنتاج بل وأيضاً على صعيد النفس واللاشعور الذي يندس بين ثنايا الروح الإنسانية . يقول عالم النفس المشهور فرويد في وصف اللاشعور بأنه مرجل يغلي وهذا المرجل من الناحية البصرية يمثل سطحاً جياشاً تظهر فيه من حين لآخر أشياء ذات شكل محدود تطفو لحظة ثم تغسط . وكثيراً ما شاهدنا في عالم الفن التشكيلي أعمال فنية لا يتجه الفنان في عمله من خلالها إلى تحديد الذات بقدر ما يبحث عن صورة تنكزية لها ، فهو يعتقد أنه يصور حقيقة موضوعية ليس هو منبعها وإنما هو قناة الاتصال بها في عالم لا يشبه الواقع ، فهو بهذه الطريقة يتحايل في معالجه الفنية للموضوع حتى يبدأ في التجارب مع حدسه لهذه الحقيقة الموضوعية ثم يصورها لكن هذه الحقيقة ليست ثابتة بصفة مستديمة .

ووقفاً على ما قلت يمكن طرح أسئلة استفهامية كمدخل ، لنفهم من خلالها كيف يعمل عقل الفنان في انسجام يتوافق مع أحاسيسه ومشاعره عند إنتاج الأعمال الفنية ومن أمثلة تلك الأسئلة : كيف يدرك الفنان أنه وقع على شكل له دلالة ؟ لماذا يتوقف الفنان عند لحظة ما ويصيح : وجدتها ؟ ولماذا يكون لأحد الأشكال عنده دلالة أكثر من غيره ؟ والإجابة الأعم شمولية على هذا الأسئلة في العادة تنبئ من داخل النفس ومن عمق الشعور ، لأن الفنان يبحث في داخله على تلك الأشكال ، وعندما يبدأ في مصافحة الأسطح الفنية بفرشاته أو أدواته الفنية المختلفة تبدأ تلك الأشكال في القفز والظهور تبعاً واحدة تلو الأخرى على سطح اللوحة ، وقد تحتاج بعض الأشكال إلى فترة زمنية طويلة حتى تظهر في شكلها الأولي أو في شكلها النهائي بعد التهذيب والتنميق والتزويق ، وبذلك يعثر الفنان على ضالته ، وعندما تكون هذا الأشكال قوية وفعالة في التعبير الفني الذي يود أن يشير إليه الفنان في أعماله ، وهي بمعنى أصح تمارس سلطاناً نفسياً على الفنان أولاً وعلى المشاهد عند عرض تلك الأعمال ثانياً .

يقول هيربرت ريد أن الفنان المبدع تراه دائم البحث عن أشكال مماثلة خلف حجاب الوعي ، أشكال لا يهيم أن يكون أو لا يكون لها دلالة تمثيلية ، أشكال يمكن التقاطها من المرجل الذي يغلي بالجزيئات النفسية ، مثل هذه الأشكال لا يلزم أن تكون مجازية تشخيصية ، بل الاحتمال الأكبر أن تكون فاقدة للشكل أو (وحدات جشططية) ، وكلما تغلفنا في الداخل عن طريق التأمل والحدس قل احتمال عثورنا على أشكال وصور من عالم اليقظة ، إذ تنفذ إلى (غشاء من الأشكال خال من الوحدة الجشططية) كما أسماه أنطون إهنزفايخ غشاء لم تتشكل بعد فيه هيئة ولا يكتسب شكلاً ومدلولاً إلا عندما تنضج ، وعندما يكون ذلك الشكل المتكون المادة الأولية على لوحة الفنان في عملية التصوير .

وعليه يبدو أن ما قلت آنفاً أوضح ولو بشكل بسيط مدى المعاناة الفكرية والنفسية التي يمر بها الفنان التشكيلي قبل وأثناء إنتاجه الفني ، فهذه الأعمال التي تمر على بصائرنا يجب أن تستشعرها عقول قلوبنا لأن بها طاقة حسية ، انفعالية ، جمالية تحوم في فيافي الفكر وتقطف معها عنقايد النجوم والعوالم الملامحودبة ، هي مهارة إبداعية وإتقان بارع من توقيع إنسان هذا الكوكب ، يملك مع غيره من المبدعين قدرة غير عادية في التفكير التخيلي والتفكير المنطقي والخيال البصري الدقيق كأدوات أساسية يستخدمهما في إبداعه الجميل الذي يزين به الحياة والوجود من حولنا .

al-maimani@hotmail.com



مختارات - صالح العامري *

وجوه وظلال (٣١) منصوفة



■ اللوحة للفنان موسى عمر

من الغرور والتكبر، وهو ما يُعرف عند الصوفية باسم: كسر حدة النفس. ومع أن الششتري كان آنذاك وزيراً وعالماً، فقد طلب ابن سبعين منه أن يمسك عِلماً ويدور في الأسواق متغنياً بعبارة (بدأت بذكر الحبيب) وهو يلبس بردة بالية. وفعل الششتري ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث، وجد نفسه يتغنّى قائلاً: شويخ من أرض مكناس في وسط الأسواق يغنّي إيش علي من الناس وإيش على الناس ميني

قال أحد الوالبيين مخاطباً الله: إلهي، لتفتّح باباً أمامي في النهاية! فسمعت رابعة العبودية وقالت: أيها الغافل، ومتي أغلق هذا الباب؟ إن الباب مفتوح، أيها الغلام، عليك أن توجه وجهك تجاهه وتبحث عن مرادك على الدوام. ■

* شاعر عماني

متأخراً عن بدايته ببلاد المشرق العربي، لكن الصوفية المغاربية ما لبثوا أن لحقوا بالأولين وتفوقوا. ولمعت في سماء التصوف القادم من المغرب نجوم أسماء ابن عربي، الشاذلي، المرسي، الششتري. وُلد أبو الحسن الششتري (نسبة إلى قرية ششتير بوادي أش بالأندلس)، بقرية لوشة، الأندلسية، سنة ست مائة وعشر للهجرة، في أسرة عظيمة الجاه. وحفظ القرآن في صغره، ثم درس الفقه. ولما أراد التعمق في الدين ومعرفة التصوف، أخذ طريقة أبي مدين التلمساني. ثم حدث الانقلاب الكبير في حياته الروحية حين التقى بابن سبعين، حيث التفت ابن سبعين للششتري قائلاً له: إن كنت تريد الجنة فاهب إلى أبي مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلي.

واختار الششتري طريق رب الجنة، وطلب من ابن سبعين أن يعرفه أصول الطريق ويقبله تلميذاً له. فما كان من ابن سبعين إلا أن طبق عليه القاعدة الصوفية الخاصة بضرورة تخليص نفوس المريدين

عليه الغضب. ولما كان القول لا يروق للقاضي فقد استنكره. فقال له الواسطي:

إذا كان هؤلاء الموتى: غير معذورين أمام حكّمك، فهم جميعاً معذورون أمام حكّم الله علام الغيوب.

كان أحد الصوفية كلما غسل ثوبه بين الحين والحين، أكفهر وجه العالم وتكاثر السحاب. وذات مرة إزداد الثوب اتساعاً، كما بدا السحاب وقد أصيب بالعديد من الهموم. وما إن توجه الصوفي صوب اليقال لشراء الصابون، حتى تلبد الجو في الحال بالغيوم، فقال:

لم بدوت أيها الغمام؟ امض، فأنا ذاهب لأشتري زيبياً. إنني أشتري الزبيب ولست أشتري الصابون، فلم تات؟ كم من صابون تساقط على الأرض بسببك؟ وما قد غسلت يدي بالصابون، فأنا أظهر منك.

من كتاب (شعراء الصوفية المجهولون) ليويسف زيدان، عن أبي الحسن الششتري: بدأ التصوف في بلاد المغرب

من "الشمس تحتضن يليه احتضان العالم" لعبد اللطيف اللعبي:

المتصوف الأنيق:
حين اكتشف المتصوف القماش الإنجليزي والكشمير ووشاح الحرير: مرق جلاباب الصوف الخشن، وقال: "سأكون في وضع أفضل إذا اكتسيت بهذا القماش: فهو يمنح سجودي مزيداً من الجلال. سأحلق ذقني وشعر رأسي. سأفرك أسناني ثلاث مرات في اليوم. سأطيب جسمي بماء كولونيا من النوع الجيد. سأرمي حصيري البالي، وأستبدله بسجادة فاخرة. سأمثل ناصعاً ونظيفاً أمام الله. صلاتي ستزداد نقاء. لن أعيش بالإحسان بعد اليوم. سأجد لي عملاً شريفاً ذا دخل محترم. سأختلط بأقربائي: أطلع على همومهم، أتعرف على تجديفهم، أتلقن حبهيم الأرضي، أذوق خمرهم الدنيوي. وشيئاً فشيئاً أعيدهم إلى صراط السر الحق أن حياتي لن تتبدل إلا في الظاهر، لكني أكون هكذا قد ابتدعت طريقة صوفية جديدة، طريقة التصوف الأنيق". هكذا تحدث المتصوف الأنيق..

عن المتصوف:

حين يستسلم المتصوف للنقد الذاتي:
أقر بأن خضوعي كان تعجرفاً وعشقي كان طلباً للقوة.

اعترافات المتصوف:
تقلق الشاعر الدنيوي:

يقول في نفسه:
من الذي يتكلم هكذا في داخله في داخلي؟

إلى اللقاء أيها الصوفي
قال الشاعر أخيراً:
كان لقاؤنا خاطفاً وشهياً.

ت. إلياس حنا إلياس

من منطق الطير، لفريد الدين العطار:

سار الواسطي "الواسطي": اسمه محمد بن موسى، من أصحاب الجنيد والنوري، ومن علماء قومه. كان مبرراً في علوم التصوف، حيران مشوش خاطر والبال، حتى أصبح لشدة حيرته عديم المأوى والمال. سار حتى وقع نظره على مقبرة لليهود، فأدام النظر إليها، وقال: إن هؤلاء اليهود معذورون جداً، ولكن لا يمكنهم قول هذا السر لأحد أبداً. سمع أحد القضاة هذا القول، فبدأ

